الموقف الأميركي من سورية: وصفة للتصعيد

■ حميدي العبدالله

في بيان صادر عن الخارجية الأميركية، بعد لقاءات أجراها المبعوث الرئاسي الأميركي إلى سورية مع مسؤولين في الخارجية الروسية، جاء في البيان الأميركي حرفياً: «إنّ الولايات المتحدة تواصل التزامها القوي بتحقيق انتقال سياسي حقيقي قائم على التفاوض بعيداً عن الرئيس بشار الأسد بهدف وضع حدّ للعنف».

تنطوي هذه العبارة على الكثير من الدلالات:

أولاً، التساؤل عن التفاوض بين من ومن؟ إذا كان الرئيس بشار الأسد الذي يمثل الدولة السورية بمؤسساتها المختلفة والذي يقوم بالدور الرئيسي في مكافحة الإرهاب، وتحديداً تنظيمات «داعش» وفروع القاعدة الأخرى، لا تفاوض معه وغير مرشح للتفاوض، وبديهي لا يجرؤ لا الأميركي ولا غيره إلى تبني رسمي للتفاوض مع «داعش» وفروع القاعدة الأخرى، ولا سيما «جبهة النصرة»، وهي التنظيمات التي تسيطر على المناطق الواقعة خارج سيطرة الدولة، فمن هي إذن القوى التي يجب أن تتفاوض لوقف العنف في سورية، وهل التفاوض بين موسكو وواشنطن، وبين الائتلاف المعارض، وأيّ قوى سورية أخرى خارج الدولة من شأنه أن يقود إلى وقف العنف في سورية، وكيف يمكن أن يحصل ذلك، وهل تدخل عسكري أميركي أو غير أميركي بمقدوره أن يوقف العنف إذا استهدف جميع الأطراف المتصارعة في سورية، أم أنه يقود إلى تصاعده ويزيد مآسي السوريين؟

ثانياً، الموقف الأميركي يعني بوضوح عرقلة أي جهد جدي، أولاً لوقف العنف، وثانياً لمكافحة الإرهاب، لأنّ واشنطن تشترط لمكافحة الإرهاب أن يكون عملاؤها وحدهم في المواجهة في سورية، ولكن هؤلاء العملاء منبوذين في سورية ومرفوضين من جميع الجهات، من الدولة والمؤيدين لها، ومن التنظيمات التكفيرية الإرهابية وأنصارها.

الموقف الأميركي يستوجب رداً من روسيا قبل أيّ جهة أخرى، أولاً، لأنّ التصريحات الأميركية الجديدة جاءت بعد لقاءات المبعوث الأميركي مع المسؤولين الروس، وثانياً، لأنّ مواقف الولايات المتحدة هذه من شأنها خلق البيئة الملائمة لاستمرار الحرب، وتعاظم دور وخطر التنظيمات الإرهابية. في حال واحدة يمكن فهم عدم المبادرة للردّ من قبل موسكو على تصريحات الخارجية الأميركية، إذا كان لدى المسؤولين الروس التزامات أميركية غير معلنة، تشير إلى أنّ خطابهم العملي غير خطابهم العلني، وهذه مسألة غير واضحة حتى الآن.

حزب الله بين الدورين الإقليمي واللبناني

تعلن كلّ من واشنطن والرياض حرباً غير خافية على حزب الله، فيما تذهب أميركا إلى توقيع التفاهم مع إيران حول ملفها النووي، وتفتح بموجبه لها أبواب سياسية واقتصادية واعدة، وهي تعلم أنّ إيران لم تغيّر ولن تغيّر مواقفها وثوابتها وتحالفاتها، وخصوصاً في وجه إسرائيل وتمسكها بالمقاومة، فالرئيس الأميركي قال علناً إنّ حزب الله بات هو المشكلة لأنّ أميركا تعتقد انه إذا تيسّر إضعاف او تحجيم حزب الله فإنّ ذلك سيعني ضرب القدرة الإيرانية على تحقيق أهداف تتصل بضرب «إسرائيل» وإضعافها، وكذلك دعم سورية وتمكين رئيسها من امتلاك حليف قادر على المساهمة النوعية في صناعة النصر الذي يريده على المجموعات الإرهابية التي تمّ تصديرها إلى سورية لإسقاطه وتغيير موقع سورية في الجغرافيا السياسية للمنطقة.

الرياض من جهتها لا تحجب موقفها المعلن، فهي ترى حزب الله مشكلة في لبنان والعراق واليمن في وجه نفوذها، وتراه في سورية سبب فشلها، وترى أنّ علاقتها بسورية ستتغيّر إذا تمّ تحجيم حزب الله، وأنّ تفاوضها مع إيران ستتغيّر قواعده في كلّ الساحات عندما يتمّ توجيه ضربة إلى حزب الله.

الحرب التي استهدفت حزب الله في تموز 2006 تبيّن بصورة قاطعة أنها كانت حرباً لتحقيق الهدف ذاته، وعندها لم يكن حزب الله قد صار سبباً للأذى للسياسات الأميركية والسعودية وتعطيلها كما تراه واشنطن والرياض اليوم، لكن الحرب العسكرية التي فشلت قبل عشر سنين ليس بالإمكان تكرارها، ولا إنْ أمكن ذلك يمكن الرهان على الفوز بها وقد تضاعفت مقدراته وانهزم أمامه بعد مزارع شبعا عدوه الأول في المنطقة الذي تمثله «إسرائيل» والتي تملك مقدرات عسكرية تعتمد عليها واشنطن والرياض، والتزمت «إسرائيل» بعدها بقواعد ميزان الردع الجديد الذي فرضته المقاومة.

غرفة العمليات التي خططت لحرب تموز 2006 هي غرفة العمليات التي قرّرت الحرب الجديدة بوسائل جديدة، وهي مفهوم الحرب الناعمة التي تحدث عنها الأميركيون كثيراً بعد فشل حروبهم في العراق وافغانستان وكانت نسختها التي شاهدناها هي «الربيع العربي» وثورات الساحات والقنوات الفضائية.

في لبنان حيث نظام طائفي فاسد يتقاسم كلّ شيء على ظهر مواطنيه ويدفعهم إلى الجوع والفقر ويحرمهم أبسط حقوق المواطنة، تجهّزت الساحات على إيقاع قضية متفجرة مثلتها فضيحة النفايات، وانطلق حراك بدفع وتشجيع وإنخراط كامل من أهمّ قناتين تلفزيونيتين هما «أل بي سي» و«الجديد» يبدو أنه سيتحوّل إلى مدخل لفوضى عامة وصدامات بين القوى الأمنية والمتظاهرين.

يعلم كلّ متابع للبنان أنّ القناتين التلفزيونيتين لا تخفيان علاقاتهما المالية بالخليج وخصوصاً قطر بالنسبة لـ«الجديد» والسعودية بالنسبة لـ«أل بي سي»، ويعلم ايضاً كلّ متابع انّ أغلبية وجوه الناشطين الذي يتصدّرون الغضب الشعبي ويقرّرون عنه خطط وشعارات التحرك ومواعيد التصعيد هم من الذين يتباهون بأنهم سبق ووقفوا في وجه حزب الله وسلاحه في محطات سابقة.

لا يخفي جسم أساسي من الناشطين الاستهداف لحزب الله فيترجمون شعار إسقاط النظام بإسقاط ما يصفونه بالنظام الأمني ويترجمون القصد بأنه حزب الله، بينما يقول زملاؤهم الآخرون شعار «كلكن يعني كلكن» الموجه إلى الزعماء هدفه إسقاط مهابة السيد حسن نصرالله.

يستهدف حزب الله لتفريغ شارعه الشبابي وفقاً لمقترحات فيلتمان التي سبق وشرحها للكونغرس مقابل خطة التمويل بخمسمئة مليون دولار بينما يتمّ خوض تجربة الوصول لرئاسة الجمهورية مبكراً بإزاحة ترشيح العماد ميشال عون لأنه من بين الزعماء ليتقدّم ترشيح إنقاذي يطرح قائد الجيش تحت عنوانه ويحرم حزب الله من قطاف نصره الإقليمي في الداخل اللبناني بالفوز بالرئاسة لحليفه الأقرب.

طريق حزب الله للردّ هو مبادرة الرئيس نبيه بري في لبنان من جهة وتسريع الإنجازات العسكرية في سورية من جهة أخرى.

«توب نيوز»

تغيير في الموقفين الروسي والإيراني

– خلال شهر ونصف الشهر بعد التوقيع على التفاهم حول الملف النووي الإيراني لم يمرّ يوم من دون موقف سعودي وخليجي وغربي يتحدث عن تغيير في الموقف الروسي والإيراني من سورية.

– المسؤولون السعوديون يجاهرون علناً بأنهم يراهنون وواثقون من تغيير في موقف روسيا.

– تحدث أوباما عن مؤشرات على تغيير في موقف روسيا، وتحدث هاموند وزير خارجية بريطانيا عن تغيير في موقف إيران.

– التغيير المقصود يطال الموقف من وجود الرئيس بشار الأسد في منصبه.

– خرج وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف يقول في محاضرة مكتوبة إنّ «الجيش السوري أكثر فعالية من التحالف الدولي في محاربة الإرهاب»، ومشدّداً على أنّ الرئيس الأسد «رئيس شرعي».

– مستشار مرشد الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدكتور علي ولايتي يقول أمام وفد الأحزاب اللبنانية «إنّ أميركا وحلفاءها يريدون إقالة الحكومة السورية والرئيس بشار الأسد، لكن نحن نعرف أنّ الشعب السوري يعرف أنّ من وقف من أجل مصالح سورية هو بشار الأسد».

– غداً سيخرجون مجدّداً للقول إنّ هناك تغييراً روسياً إيرانياً فلا تستمعوا لأكاذيبهم وأوهامهم... ويكفي.

التعليق السياسي

الهجرة والتهجير بين المنهجية والتغرير!

■ محمد ح. الحاج

نهايات القرن الماضي اجتاحت منطقة الجزيرة السورية، وبعض مناطق الشمال العراقي موجة واسعة من الهجرة تركزت في أوساط العائلات والشباب السرياني والكلدو آشوري باتجاه مناطق الشمال الأوروبي – الدول الاسكندنافية وخصوصاً السويد، والقليل اتجه نحو استراليا أو أميركا الشمالية، وقلنا في حينه عبر الصحافة والندوات إنها هجرة مخططة ترعاها منظمات دولية وغايتها ليست بريئة بالمطلق، وربما كان الخوف على ما يطلقون عليهم تسمية أقليات هو الدافع المعلن، لكن أصابع الصهيونية العالمية لم تكن بعيدة عن المساهمة والمشاركة، وقد شجعت تلك الهجرة أوساط دينية لأسبابها وأيضاً لا نقول إنها كانت بريئة بالمطلق، فالأحداث في الشمال العراقي، وربما على كامل التراب العراقي شكلت مبرّراً لحركة النزوح الداخلي وتوجه البعض نحو الشام ولبنان، لكن الشمال الشرقي السوري كان في أوج الأمن والأمان، والانفراج المادي، ولم يكن هناك «داعش» أو «النصرة» ولا «جيش الفتح» أو «فتح الإسلام»... قلنا في حينه إننا نرفض تجريد سورية من جذورها الحضارية والتاريخية وما زلنا عند موقفنا هذا.

المخطط الذي لم يستكمل في حينه بقي برسم التنفيذ، وطاعون الحرب التي تستهدف وجود الشعب السوري منذ العام الأول في القرن الحادي والعشرين تجري تغذيته ورعايته وتنمية أسباب استمراره، ومنها عمليات التهجير بشتى الأساليب، التهجير القسري، والتهجير الاحتيالي، ترهيباً وترغيباً وضمن مخططات واسعة تشمل الأراضي السورية والعراقية وقبل ذلك اللبنانية وقبلها الفلسطينية، التهجير الذي يستهدف شرائح مختارة من الشعب السوري، اثنياً، عرقياً، وطبقياً، بمعنى أوضح استهداف مجموعات مختارة ممّن يسمّونهم أقليات، يسهّلون استيعاب الأجيال الشابة المثقفة، وأيضاً أغلب الأثرياء ممّن تمّ تشجيعهم على التخلص من ممتلكاتهم وتهريب أموالهم نحو الدول المخطط لهم أن يصلوها، وهي دول تحتاج إليهم لأكثر من سبب، من ذلك نسبة الكهولة العالية في تلك الدول ومعاناتها من نقص الشباب، والحاجة إلى المواليد لمنع الانحدار نحو الانقراض، ومن ذلك أيضاً استنزاف دول المنطقة ديمغرافيا، ومالياً، وإفقارها عقلياً وعلمياً عن طريق استدراج العقول إلى الهجرة وتقديم الحوافز والمغريات، ولو عن طريق الإشاعة الكاذبة، وهنا يلعب الإعلام دوره، سلباً أو إيجاباً.

الخروج الجماعي باتجاه الشمال (تركيا) والجنوب (الأردن) وغرباً إلى لبنان مع بداية الأحداث كان مبرمجاً والغاية منه ممارسة الضغط على الحكومة السورية، شيطنتها وإظهارها أمام العالم على أنها دولة تضطهد مواطنيها، وبدا ذلك جلياً بعد أحداث جسر الشغور وما تعرّض له اللاجئون من ممارسات الأتراك ومحاولة الكثير من العائلات العودة وقيام السلطات التركية بمنعهم واستخدامهم كرهائن للمتاجرة بأوضاعهم على المستوى الدولي، وما تلا ذلك من انكشاف مضمون الاتفاقيات التركية الفرنسية في هذا الخصوص، كذلك كان حال أبناء حوران الذين لجأوا إلى الأردن تحت ضغط الضخ الإعلامي وما أفرز من رعب وخوف في نفوس السكان الآمنين ودفعهم للاعتقاد – طبقاً لقنوات أعراب العدوان («الجزيرة» و«العبرية» وأخواتهما) أنّ الحكم في سورية يتجه إلى الانتقام من هؤلاء المواطنين دون تمييز أو رحمة وعلى قواعد لم يخطر في بال الحكومة السورية مجرد التفكير بها، وهكذا كان النزوح الجماعي باتجاه الزعتري وما نتج عنه من متاجرة بالسوريات والقصة معروفة، أما في الاتجاه اللبناني فقد كان لأحداث القصيْر وتلكلخ وبيرود ومنطقة القلمون منعكساتها أيضاً، وأخذت طابع النزوح رغم أنّ حركة الانتقال كانت قائمة بشكل طبيعي وموسمي (ما عدا هجرة الفلسطينيين رغم المطالبة بتحييد المخيمات)، لكن جهات لبنانية أرادت لهذه الحركة أن تأخذ نفس المنحى والتوصيف الذي أخذته حركة النزوح القسري شمالاً وجنوباً، وتاجرت هذه الجهات بآلام السوريين ومعاناتهم ووظفتها سياسياً لكنها لم تحقق النجاح المرغوب إذ جاءت الانتخابات الرئاسية لتكشف الحقيقة وزيف ادّعاءات الجماعة فكانت الخيبة والانتكاسة ومحاولات الانتقام من السوريين المتواجدين على الأرض اللبنانية حتى الذين مضت عقود على وجودهم في لبنان ولهم فيه مصالح وأموال، وأبناء من زيجات متبادلة الخ...

هل ما يحصل حالياً، عمليات هجرة أم تهجير؟ ونعلم أنّ جماعات وعائلات تتجه نحو أوروبا عن طريق تركيا حصراً عبر لبنان في مغامرة بالغة الخطورة وتعرّض بعضهم للغرق في البحر أو السجن والإهانة في بعض البلدان، أو تعرّضهم للموت بطرق مجهولة والمتاجرة بأعضائهم!

لماذا يفتح تنظيم «داعش» المعابر باتجاه تركيا فقط، ويقول البعض إنه ممنوع على سكان محافظة الرقة أو من جاء إليها التوجه إلى دمشق أو حمص إلا في حالات نادرة، ثم بعد السيطرة على تدمر تمّ توجيه، بل إجبار أبناء تدمر على الخروج إلى الرقة، ومن هناك مسموح الذهاب إلى تركيا...! ولماذا تسمح تركيا، بل تسهّل دخول هؤلاء؟ هل هي اتفاقية سرية يجري تطبيقها خدمة لجملة من الأغراض والأهداف أوردنا أغلبها قبلاً، وهل تكون الحرب الديمغرافية وإفراغ البلد من شرائح مجتمعية هامة على كلّ الأصعدة هي الفصل الجديد من فصول الحرب؟

حمّى التوجه نحو ألمانيا أو النمسا والسويد، تجتاح المهاجرين، الغالبية من المتواجدين على الأراضي التركية واللبنانية، يساهم في التشجيع على التوجه نحو ألمانيا، عناصر مافيا من سوريين ولبنانيين وعرب وبلغار يقيمون في أوروبا وكأنه تمّ توظيفهم لهذه الغاية، ورغم الحقائق المريرة – المرعبة التي ينشرها بعض الشباب الوطني عبر صفحات التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية فإنّ حركة الهجرة تتضاعف، وتتضاعف أعداد المغامرين من جيل الشباب وخاصة من المناطق الداخلية الآمنة وكأنّ الجنة هبطت إلى اوروبا، وألمانيا بالذات – العمليات منظمة ومبرمجة ويتمّ اختيار المقبولين بعد دراسة وتدقيق – جيل الشباب – حملة الشهادات العليا – وربما من يحملون معهم مبالغ مالية تكفيهم لبدء حياة جديدة حيث يتمّ تأهيلهم لها بعد اتباعهم دورات تعليم اللغة، يقول البعض. ألمانيا أيضاً بحاجة إلى التجدّد فنسبة الكهولة فيها مرتفعة ونسبة الولادات دون المعدل المقبول...!

فرنسا وألمانيا تنتقدان دول أوروبا الشرقية التي أغلقت حدودها في وجه حركة الهجرة، وربما تمارسان ضغوطاً سرية على هذه الدول، أو تقدّمان معونات ومساعدات لإغرائها على فتح معابرها، ومن هذه الدول اليونان ومقدونيا والمجر وبلغاريا وغيرها، ويبدو أنّ إيطاليا تتحمّل أعباء عمليات النقل والإنقاذ البحري وتوفير مراكز تجميع لاستكمال الرحلة، وحتى الآن تشير الإحصاءات إلى أنّ نسبة المهاجرين الأعلى هي من السوريين... فهل حقاً أصبح نصف سكان سورية خارج البلاد؟

أياً تكن أسباب الهجرة، البحث عن ملاذ آمن، عن فرص عيش أفضل، الخوف من «داعش» أو «النصرة» وباقي العصابات التكفيرية، أو خوف عائلات المسلحين المطلوبين للدولة وهم النسبة الأقلّ بين المهاجرين، فإنّ عمليات التهجير التي يطلقون عليها «هجرة» هي تطبيق لمخطط ومنهاج لا يمكن إدراجها ضمن ردود الفعل، بل تقوم على رعايتها وتشجيعها جهات لا تضمر الخير لأمتنا أو شعبنا، لا في القديم ولا في الراهن، ولم تتوقف في يوم من الأيام عن العمل الجادّ لهدم بنيان هذه المنطقة وتفتيتها وتشريد شعبها واستبداله بـ«شعب آخر»، المحزن أنّ كثيراً من أبناء شعبنا تنطلي عليهم اللعبة ويصدّقون الدعايات، يحلمون بالثروة والجنة الجديدة في أوروبا، ولو اجتهد بعضهم لوصل إلى الحلم بأقلّ تكلفة، موفراً الكثير من الجهد والمغامرة، الأهمّ محافظاً على كرامته الوطنية فلا يقال: لاجئ، أو متسوّل ومشرّد... متى كان السوري لاجئاً أو متسوّل؟ يمكننا فهم اللجوء السياسي، ولكن ما لم نفهمه هو اللجوء الكنسي...!

من يؤمن بالوطن والكرامة كما تؤمن مجموعة: أنا أنتمي... I BELONG TO، عليه أن يتذكر أسماء الخونة الذين أشعلوها وقبضوا لقاء ذلك ثلاثين من فضة...

يقيمون في الفنادق الفخمة وينفقون من ثمن دماء السوريين ومعاناتهم، – على شعبنا أن يلعنهم مع كلّ نسمة هواء تعبر سماء الوطن ومع صوت كلّ قذيفة أو طلقة أو تفجير، ومع كلّ ذكر لـ«داعش» و«النصرة»، في كلّ لحظة ينقطع فيها التيار ومع عودته، مع معاناة كلّ مسافر، أو طالب علم، وآلام مريض أو موظف تقطعت به السبل ولا يستطيع الوصول إلى عمله... خرّبوها وتراهم يرقصون في جنازات الوطن بعد أن ماتت ضمائرهم وحسّهم الوطني... وقد أصبحوا أدوات العدوان على أمهاتهم.

اللبناني بين فضاء طموحه وأسوار الطائفية*

■ معن بشور**

الكبار بين ناسهم منارات يستهدون بها ويسترشدون بأفكارها وسيرها وتجاربها، وأفضل ما نستحضر في كبارنا يوم يغيبون عنا أو يغيّبون، هو أن تتحول ذكرى الغياب أو التغييب إلى منبر أو منتدى نتطارح عبره الأفكار، ونواكب المستجدات، فيكون حضور الكبار فيها مُلهماً وهادياً لا مجرد ذكرى تردّدها الألسن، أو يثار حولها الصخب.

وهنا يجدر التنويه بمنبر الإمام الصدر وحرصه على تنظيم ملتقى الإمام السابع في ذكرى تغييبه مع رفيقيه، فيختار لكلّ ملتقى عنواناً، وثيق الصلة بهموم الإمام السيّد واهتماماته، مدركاً أنّ على رأس تلك الهموم والاهتمامات كيف يخرج لبنان من محنته، والأمة من عثارها، والإنسانية من أوجاعها الممتدة من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى زمان ثان.

موضوع مداخلتي اليوم «اللبناني بين فضاء طموحه وأسوار الطائفية» هو دون شكّ من الموضوعات الأثيرة على قلب الإمام السيد، وعلى عقله وفكره، فحركة المحرومين التي أطلقها، كان يريدها حركة لا طائفية تضمّ لبنانيين، من كلّ الطوائف، إدراكاً من سماحته أنّ تجاوز الطائفية لا يتم إلا بحركات عابرة للطوائف والمذاهب، بل إنّ مفهوم الحركات لدى سماحته لا ينحصر بالحرمان الاقتصادي والاجتماعي فحسب، بل أيضاً بالحرمان المعنوي والسياسي للمواطن أي من حرمانه من تكافؤ الفرص مع المواطن الآخر، بغضّ النظر عن الدين والعرق والطائفة والمذهب واللون والجنس.

والإمام السيد موسى الصدر كان يدرك ككلّ رجالاتنا الكبار أنّ التنوّع الطائفي في لبنان نعمة لهذا الوطن ومصدر لتعدّدية هي أصل الديمقراطية، بل هو واقع ينطوي على رسالة، إذا نجحت في لبنان، قد تنجح في محيطه وفي العالم بأسره، أما إذا تعثرت وارتبكت وتحول فيها التنوع إلى اصطراع واحتراب، والتعدّد فيها إلى إقصاء وحروب مستمرة فإنها تتحول إلى مصدر بلاء عظيم.

ولقد كنا نظن أيام شبابنا أنّ الطائفية مرض لبناني مزمن، ولم نقرأ مدى توغلها في تاريخنا، بل مدى انتشارها في محيطنا والعالم بأسره، فكنا في تعاملنا معها سذجاً إلى حدّ كبير نعتقد أننا إذا أنكرناها باتت غير موجودة، أو إذا طالبنا بإلغائها حصلنا على ذلك بسهولة.

ولعلّ من المفارقات المؤلمة أنّ الكثير من أحزابنا وشخصياتنا الفكرية والثقافية التي عقدنا الآمال عليها لتجاوز التعصب الطائفي وبناء مجتمع المواطنة قد بات أسير هذا التعصب، بالوعي أو اللاوعي، بل بات يقدم صورة واهنة مترهلة عن أداء بديل للنظام الطائفي، والمواطن الذي تشكل الطائفية سوراً لفضاء طموحه، والذي سعى إلى النضال من أجل إزالة هذا السور، بات قابعاً راضياً بما هو فيه مقتنعاً بأنه «لا مارد ولا عصفور» ليتجاوز «السور وراء السور»، كما كتب يوماً الشاعر المصري أحمد فؤاد نجم وأنشد توأمه الفني الشيخ إمام رحمهما الله.

فالتعصب الطائفي لم يعد سوراً في وجه طموحات اللبناني فقط، بل بات سوراً في وجه طموحات لبنان بأسره، الذي يرى معظم عيوبه كامنة في توسع هذا التعصب أفقياً وعمودياً، في الدولة ومؤسساتها، كما في المجتمع ومنظماته، في الوظائف كما في العلاقات الإنسانية، حتى كاد يلتهم معظم الإنجازات التي حققها المسار الوطني، فالميثاقية تراجعت أمام المحاصصة، والمقاومة تجري محاصرتها بالتحريض المذهبي والطائفي البغيض، والتحركات الشعبية المشروعة يجري إجهاضها بإشهار السلاح الطائفي والمذهبي في وجهها.

أما الفساد الذي يشكو منه أغلبية اللبنانيين، والذي شكل مادة لانتفاضة شبابية مباركة في 22 آب الجاري، وبغضّ النظر عن أي شوائب لحقت بها، فقد وجد دائماً في التعصب الطائفي ملاذاً، فإذا دعى الداعي إلى محاكمة أبطاله أو محاسبتهم هبّ أهل التعصب الطائفي يشهرون سيوفهم دفاعاً عن الطائفة التي تصبح ملخصة برجل فاسد.

والفساد وبيئته الحاضنة، التي تكمن في التعصب الطائفي، آفة لا ينحصر تأثيرها بين فاسد ومفسد ومواطن متضرّر بل يصبح آلية لتفكيك الأوطان والمجتمعات برمتها لأنه يستنزف القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية ويسقط الحصون التي تحتمي بها الأوطان والمجتمعات، فمع الفساد المحمي بالعصبية الطائفية، تسهل كلّ أنواع الاختراقات الأمنية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية.

لكنّ ارتباط الفساد بالتعصّب الطائفي لا يعني غيابه عن مجتمعات لا تشكو بحكم تكوينها من هذه الظاهرة بالذات، لكنها تشكو من عصبيات من نوع آخر.

فإذا كان التمايز الديني والعرقي غنىً لدى العديد من الشعوب والأمم، فإنّ تحوله إلى عصبية أو تعصب بات مصدر ارتباك للمجتمعات واضطهاد للأفراد، ومن هنا ليس التعصب الطائفي هو المسألة المشكو منها فقط، بل إنه كذلك التعصب القبلي والحزبي والقطري والعنصري وكلّ ما يشكل مصادر للعنف الأهلي المصحوب بثقافة إقصاء الآخر وتجريده من أبسط حقوقه.

من هنا فتعاملنا مع الطائفية يحتاج إلى تعامل من منظور أوسع لأنه تعامل مع كلّ العصبيات التي تمزق مجتمعاتنا حين تتحول إلى حال إقصائية للآخر. وبالتالي يصبح رفض الطائفية، دون رفض العصبيات الأخرى، جزءاً من المشكلة بدلاً من أن يكون جزءاً من الحل.

فالحرب على الطائفية غير المحصّنة برؤى وحدوية جامعة وديمقراطية عصرية، تصبّ الزيت على نار الطائفية، وخصوصاً حين تبدو وكأنها حرب طائفة بعينها أو حزب بمفرده أو فئة دون أخرى، وكلنا نذكر كيف أنّ لبنان كان منقسماً بين فئتين إحداهما تشكو من الغبن والأخرى من الخوف، فأوصلتنا أنواع معينة من «الحروب» على الطائفية إلى أنّ الجميع بات يشكو اليوم من الغبن والخوف معاً...

فالخروج من الطائفية، بهذا المعنى، يحتاج إلى خطة متكاملة فيها الثقافي كما السياسي، الإجتماعي كما الاقتصادي، النفسي كما الديني، وكلّ مقاربة ناقصة لهذا الملف تؤدي إلى تغذية هذا المرض، وإعلاء الأسوار بين اللبناني وأخيه اللبناني.

فالخروج من الطائفية يحتاج أول ما يحتاج إلى تنمية الانتماء الوطني، والهوية الجامعة، وتكريس مبدأ المواطنة بكلّ معانيه، كما أنه يحتاج إلى حركات ومؤسسات ورموز وبرامج عابرة للطوائف والمذاهب، لأنّ حصرها بطائفة أو مذهب، مهما كانت غاية هذه الحركات نبيلة وأهدافها طاهرة، سيؤدي حتماً إلى إعادة إنتاج التعصّب الطائفي أو المذهبي.

والخروج من الطائفية يستدعي أيضاً خوض معارك نضالية ووطنية تعبّر عن مصالح الجماعة اللبنانية، أو أي جماعة، بكلّ مكوناتها، فما من شيء يوحّد الناس كحرارة النضال وكوعي الهموم المشتركة.

وإنني من الذين يعتقدون أنّ الانخراط اليوم في تحركات شبابية ونقابية وطنية، كما هو الحال في وسط بيروت كما في تحركات هيئة التنسيق النقابية قبلها، رغم محاولات إجهاضها، كما أنّ السعي إلى بناء الحركات والتجمّعات والهيئات والبرامج الشعبية الوحدوية الجامعة، وتشكيل شبكة وطنية وقومية واسعة لدرء المخاطر عن المقاومة التي تمثل شرف الوطن والأمة وعنفوانها، يبقى الوسيلة لتحقيق الخطوات المطلوبة بالاتجاه الصحيح لاتجاه الخروج من التعصب الطائفي وكلّ أشكال البغض.

*مداخلة في ملتقى الإمام الصدر السابع.
الجامعة الإسلامية – صور
**المنسق العام لتجمّع اللجان والروابط الشعبية

مصر في الخاطر العربي

■ شهناز صبحي فاكوش

مصر العربية الإقليم الجنوبي في الجمهورية العربية المتحدة، فيها الجيش الثاني. شريكة حرب تشرين التحريرية، تلك التي حلف شعبها بسمائها وترابها، بقمحها بمآذنها ومدافعها وأبنائها، أن لا تغيب الشمس العربية طوال ما يعيش في الدنيا.

سورية الإقليم الشمالي، فيها الجيش الأول للجمهورية العربية المتحدة. والجبهة الأولى في مواجهة العدو الصهيوني. شريكة النصر في حرب تشرين التحريرية، هي المقاومة التي لم تتنازل أمام العدو الصهيوني، وواسطة عقد محور المقاومة.

سورية تدفع اليوم فاتورة المقاومة نيابة عن العرب جميعاً حفاظاً على الهوية القومية للأمة. الإرهاب يضربها في الداخل ويحيطها كزنار نار تدعمه كلّ قوى البغي عربية وغربية. هذه القوى تُدخل مصطلح «المعارضة المعتدلة» دسيسة على حَمَلَة السلاح.

كلّ من يحمل السلاح ضدّ أهله وشعبه، أو يخترق حدود الغير لقتال أهل الأرض الأصليين، هو إرهابي، وفق الشرعة الدولية. وعلى جيش هذه الدولة حماية أبنائها. عن أيّ معارضة معتدلة تتحدث أميركا وهي تدرّبهم على القتال وتزجّهم في سورية.

مصر اليوم منتظر منها موقف إيجابي تجاه سورية والدول العربية التي تعاني من الإرهاب... هذا الذي تمتدّ أذرعه لتنال منها بعد لفظها لـ«الإخوان المسلمين» وانكشاف فشلهم الذريع، ما قزّمهم في إدارة وحكم البلاد، وكشف أوراقهم الفارغة للعالم أجمع.

مصر اليوم تقع في خانة العتب الشعبي، فالمؤمل منها استرداد دورها الرائد في التوجه نحو سورية الشقيقة، هذه التي كانت دائماً تعذرها لمعطيات كثيرة، لا تخفى على أحد، فلا تحمّلها أكثر من طاقتها. لكنها اليوم يجب أن تحدّد موقفها وأولوياتها.

التعاطي مع الأزمة السورية؛ يتطلب منها التسريع في أخذ دورها كما تاريخها العريق معها كشقيقة. السلبية لن تنجز إلا تخطي الإرهاب إلى أراضيها، ولا نأمل ذلك. هي التي تعمل على تشكيل القوة العربية المشتركة مع السعودية.

إلى أين تتجه هذه القوة، والسعودية تدعم الإرهاب في سورية بشكل سافر، وتدّعي أنها ضدّ «الإخوان» الذين يمارسون حالات إرهاب في مصر. مشهد سياسي عسكري متناقض، هل ستتجه هذه القوة لمحاربة الإرهاب بالتنسيق مع سورية والعراق.

هل ستستمرّ هذه القوة في تحطيم اليمن السعيد حتى بعد أن أصبح تعيساً. المفارقة في المواقف تتطلب من مصر لعب الدور المأمول بها. علّ الأمة تنهض من كبوتها التي طالت، وهي ترزح تحت هيمنة نظم متأسلمة، في واقع الأمر هي عميلة وخائنة.

الخيانة والانغماس في حضن محور الشرّ الذي تقوده أميركا، والحجة في الضلوع بالخيانة للأمة، هو الخوف من امتداد حيوي إيراني، للساحة العربية. جعلهم المخلصين والمنحطين إلى الدرك الأسفل في الذيول الغربية والأميركية.

أن تستقبل القاهرة أطرافاً من المعارضة السورية، فهذا لا ضير فيه، إنْ كان الهدف الوصول إلى تناغم وطني يضيء شمعة أمل للحلّ السوري. لا بدّ من أثر عملي تؤدّيه مصر، ليكون المحدّد الأساسي والرابط في رفض اللغة التحريضية التكفيرية.

سياسات التكفير والتشويه للإسلام، بممارسات «داعش» وآلية الإجرام والتدمير الهمجية اللاإنسانية التي تمارسها، لا بدّ أن تجعل كلّ من يخشى تفشيها في بلاده أن ينسّق مع سورية لوأدها، قبيل وصولها إلى أرضه، حيث لا تحمد عقباها.

الدور المصري لا بدّ أن يكون صوب ممالك العرب والإمارات، لتكف عن التحريض المذهبي، وسياسات التشويه المذهبي، في صحة الاعتقاد وصدق المعرفة، والحدّ من تشظي الخطاب الإعلامي، وتكرار الأفكار العشوائية المتخمة بالعشائرية الغرائزية.

دور مهم مأمول من مصر العربية، بمكوناتها المحبة لسورية، وحرصها على حياة أهلها الاجتماعية، التي دفعت بالكثيرين للهرب من دمار الحرب إلى حضن المجهول حيث الموت المنتظر، أو العنف والامتهان في بلاد الأغراب للناجين.

حلم بصور الحياة الجميلة الجاذبة للسلام والرفاهية، تبتلعه مياه المتوسط، عشرات ومئات على مدى استعار الحرب، أحلامهم حبيسة معلومات جزئية صحيحة ومبهمة، صور تكرّرها وسائل الإعلام التحريضي المغرض، لإفراغ البلاد من أهلها.

سورية تقرع جرس الإنذار للعرب من «إسرائيل» التي تخترق أجواءها لتغطي عمليات إرهابية على حدود الجولان، أمر يمكن أن ينتقل إلى حيث تكون «داعش» على الأرض العربية، لسنا بحاجة إلى سدّ الذرائع بل إلى العمل الناجع لجلاء الحقيقة.

سورية أفشلت اليوم بكل تضحياتها ضدّ الإرهاب، المشاريع التكفيرية الإقليمية أردوغانياً، ودولياً أميركياً وغربياً. وإنْ كانت حققت نجاحات تكتيكية، إلا أنّ سورية وجيشها المحارب المنقذ، وإيمان شعبها بالانتصار على الإرهاب، هو سرّ صمودها.

الدور المصري وتفاعله إيجابياً مع الأزمة السورية قد يعيد العرب إلى جادة الصواب، من خلال الربط بين النظرية والتطبيق، ما يوصل إلى الحقيقة، عبر نجاحها في لعب دورها المهمّ تاريخياً. فلسفة تهتمّ بالعمل كمعيار وحيد للحقيقة.

حماس خارج المشهد...

■ محمد نادر العمري*

بات معروفاً أنّ الكيان الغاصب هو المستفيد الأكبر من الأزمة السورية، وله دور كبير في اندلاعها، وهو يقوم بدعم المجموعات الإرهابية التكفيرية لوجستياً وعسكرياً واستخبارياً لتكون هذه المجموعات أداته الوظيفية من أجل تحقيق ما يُسمّى حزاماً أمنياً في الجنوب السوري يحمي أمن الكيان من الجبهة الشمالية من جهة، ويستنزف الجيش السوري، من جهة أخرى.

ومن المسلمات أيضاً أنّ العدوان الأخير الذي قام به جيش العدو في محافظة القنيطرة واستهدافه مرتبات اللواء 90 و134 وقتله مواطنين مدنيين داخل سيارة مدنية من خلال صاروخ أطلقته طائرة من دون طيار ليس جديداً، وخصوصاً أنّ «إسرائيل» أجرت منذ شهر عدداً من المناورات المفاجئة لاحتلال قرى في الجنوب السوري وشرعت لنشر عدد من بطاريات الباتريوت في شمال فلسطين المحتلة، وهذا العدوان يمكن تصنيف رسائله المتعدّدة على أكثر من صعيد ومجال ولأكثر من جهة.

أولاً: هو حالة من رفع المعنويات للمجموعات المسلحة المتواجدة في تلك المنطقة والتي تلقت الكثير من الخسائر وانكسرت معنوياتها وفشلت في تحقيق ما رسم لها، وخصوصاً في منطقة الشمال الشرقي وكذلك في حضر وفشل العواصف الخمس في الجنوب السوري في تحقيق أيّ تقدم وبدء تهاوي غرف «موك» الصهيونية بعد تحقق معادلة النصر الذهبية لتلاحم الجيش والمقاومة والشعب.

ثانياً: رسالة مزدوجة إلى الداخل والخارج الإقليمي بأنّ حكومة «إسرائيل» لن تقبل بالاستسلام بعد النصر الذي أنجزته الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإقرار المجتمع الدولي بحقها في امتلاك التكنولوجية النووية وتحولها من دولة